

## الفنان أحمد قاسم.. ذكرى الشغف الذي لا ينتهي

عبد الكريم، وفريد بركات، وأحمد الجابري.. الخ. جامعة عدن التزاما منها بإحياء التراث الثقافي الموسيقي والفني لهذه المدينة المدنية العملاقة ومنظمات مجتمعي مدني نساء وشبابا معرفة حقوقنا وواجباتنا التي احتوت عليها مخرجات الحوار الوطني الشامل وبالتأكيد لابد أن تلك المخرجات قد تضمنت شروط وينود بناء أسس دولة مدنية حديثة واحتوت على أهم المبادئ والأسس العامة والخطوط العريضة التي تحتاج إلى بلورتها في عقد اجتماعي جديد وعصري أو دستور جديد وحديث مواكب للألفية الثالثة وتميز عن الدساتير السابقة يأخذ الصفة الرسمية بعد الاستفتاء عليه ثم تأتي مرحلة البدء بتطبيقه وتنفيذه على أرض الواقع.



د.عبد العزيز صالح بن حنبل

وقد أسهم الموسيقار قاسم، في تأسيس مدرسة خاصة به تعد علامة من علامات الفن بعدن، والذي أطلق عليه اسم "الفن العدني"، والذي يعد هو أحد رواده حينما كان الفن العدني قبل ذلك محصورا بالألوان الحضرمية والحجبية والصنعانية.. الخ، ولذلك فهو أسس مع غيره من رواد الأغنية العدنية لونا فنيا جميلا ومتميزا، بل إنه تجاوز ذلك إلى أن يحول هذه الألحان العدنية إلى أوركسترا، بل وقام بعمل ألبوم بالسيمفونية عندما كان طالبا بالدراسات العليا في موسكو، وطور هذا الفن إلى أن أصبح فنا يعيشه العاشقون والحالمون وذوي الذوق الرفيع في عدن واليمن كلها.

دون شك فإن مدينة عدن زاخرة بالمبدعين وفيها عدد كبير من ذوي الملكات الإبداعية في مجالات عدة، ولأن الفناء والموسيقى يعدان أرقى أشكال الفنون فهما يحتاجان لمن يقوم بعملية جمع تراث الفنانين وبالذات الكبار منهم... والشعوب تعزز كثيرا وتفتخر وتفخر بمبدعيها وأجزء أن أحمد قاسم أحد هؤلاء الرموز، ولذلك ينبغي على كل الجهات المسؤولة أن لا تترك هذا الإبداع يضيع ويتوه مجرد وفاة هذا المبدع أو ذلك، وينبغي أن نؤسس لعمل مؤسسي حكومي مدني صحيح يمكن من خلاله أن نجمع ونحافظ ونطور لتلك الانتاجات الانسانية البديعة.

نعم هناك جهود فردية وأحيانا أسرية تهتم بجمع تراث هذه المدينة وتراث مبدعيها، ولكن هذا في حساب الشعوب لا يدوم طويلا... ومايدوم ويستمر ويصبح ملكا مشاعرا لجميع المواطنين وعرضه للإطلاع والزيارة من قبل المهتمين والباحثين من داخل وخارج الوطن، فقط هي المؤسسات الرسمية كالمناضف والمراكز التي تجمع فيها خلاصة أبداعات وأفكار وعطاءات مبدعي هذا المدينة أو تلك.

لقد خصصنا في ذكرة جامعة عدن حيزا لعاشور من مبدعي ومثقي اليمن وبالذات لمن عاشوا وخدموا وأبدعوا في مدينة عدن، نحافظ على كتبههم وأبحاثهم وتراثهم وحتى مقتنياتهم الشخصية كمساهمة من المؤسسة الأكاديمية التعليمية "جامعة عدن"، تجاه من اتحفونا بفنهم البديع، ومنهم فنانونا الكبير أحمد قاسم، وانا على هذا الدرب ماضون.

والله من وراء القصد  
رئيس جامعة عدن.

ونحن نحتفل اليوم بذكري قامة فنية وثقافية كبيرة بمقام الفنان أحمد قاسم، سنظل نتذكر دائما شغف الحب الانساني الجميل الذي لا ينتهي، والإرث الفني الذي خلفه والموسوم بسمدة مدينة عدن وخصوصيتها المدنية الحاملة، التي أرتبط بها فنانا الكبير وعشقها حتى الثمالة.

فقد نشأ الفنان أحمد بن أحمد قاسم في أسرة عدنية فنية أصيلة، ومنذ ريعان شبابه ظهر عليه نبوغ مبكر وشغفا بالموسيقى والفن... وأدت المدينة والحي والمدرسة دورا في صقل مواهبته وإبداعه الفني، وكان لوجود مدارس فنية متعددة وعملاقة في الموسيقى والفناء بعدن دور مهم في تهذيب وتطوير قدراته الفنية، وتفتتق مواهبه في الفناء والتلحين... فالمدنية كانت بيئة حاضنة مطورة ومشجعة ومؤثرة للفنان أحمد بن أحمد قاسم.

وكانت عدن وصنعا للمدينتين الحاضنتين الأكثر دفئا لقبول وانطلاق هذا الفن الرفيع الذي مثله الفنان المبدع أحمد بن أحمد قاسم. تلكم القدرات الإبداعية لفناننا لا يمكن لها أن تتطور لولا مثابرتة الجادة في تعلم الموسيقى ودراستها على يد فنانيين ومدارس فنية كبيرة في كل من القاهرة وباريس وموسكو، فعندما اتحت للفنان أحمد قاسم الفرصة لتعلم استغلها استغلالا جيدا وتلقف تلك الفرصة التاريخية لموهبته، وتمكن من خلالها أن يؤسس مدرسة موسيقية متفردة خاصة به كفننا.

وتنقل "قاسم" بين عدوية الموسيقى والفن العدني، ورصانة الموسيقى اليمنية العامة، وبين عمق التجربة من المدرسة المصرية للفن وتقدم المدرسة الباريسية والروسية، التي انصهرت كلها وشكلت مدرسته الفنية وأوصلته إلى أن يكون موسيقارا عالميا.

وتجاوز الفنان أحمد قاسم ذلك الأمر بعد أن أضاف إلى رصيده الإبداعي في ألق شبابه "فن التمثيل" وخاض تجربة التمثيل السينمائي فأبدع وتميز وسجل أسمه في سفر التاريخ السينمائي اليمني، كأول فنان وممثل يمني في السينما العربية المصرية من خلال فلمه ذائع الصيت "حبي القاهرة"، الذي شاركه فيه ممثلين كبار منهم الممثل يزري البدراني، والممثل محمود الميجي.. الخ.

الفنان "أحمد قاسم" بعد مضي عقدين من الزمن على وفاته لازلنا مستمعين متذوقين لفننه، ولازلنا نتذكر أغانيه العذبة ونستمع فيها، نعم ذا الذي لا تطربه أغاني "اشتقتلك"، و"نعم أهواك"، و"صدفة أنتقينا"، و"عدن.. عدن.. ياربت عدن"، و"انا يادنيا آسالم"، و"ياشعبنا"، و"راح الهوى"، و"قلبه سالم قلبي"، و"عذبيتي"، و"انت ولا أحد سواك"، و"حبيبي ياليل... الخ.

هذا الفنان - الذي نحتفل اليوم بذكراه بشغف لا ينتهي - يستطيع وهو غائب أن يبعث فينا روحه العذبة ويلحنه العدني الأصيل وباختياره للكلمات العذبة الرائعة... فقد غنى لمدة طويلة مع كبار الشعراء كلطفي جعفر أمان، ومصطفى الخضرا، وعبدالله

التقدير لادميته وكرامته وكأنه بلا قيمة بدليل انتشار القتل والظلم وحرمانهم حقوقهم المشروعة وعدم احترام النظام والقانون والوقت وقيمه وسيادة الفوضى والعشوائية والارتجال.

إننا نريد أن نرى مجتمعا مستقبليا ينظر إلى الأمام قدما لا مجتمعا ينظر ويعيش في الماضي وفي جلايب الأبناء والأجداد والأسلاف وأن ننظر إلى الماضي كذكرى وعبرة ونستفيد من أجمل شيء فيه وأن لا نعيده أو نكرهه أو نجتره.

وقبل كل شيء تكون هناك إرادة سياسية قوية تؤمن بالتغيير الفعلي والتطوير والانتقال بالبلاد إلى مصاف الشعوب والدول المتحضرة وأن نعبد النظر في مناهجنا التربوية والتعليمية وانتهاج سياسة إعلامية واضحة المعالم والأهداف تخدم المرحلة الانتقالية التوافقية بعيدة عن المناكفات والمكاييد بل تصنع اصطفاها وطنيا وتخرس في روح الأجيال حب الأوطان والعمل الجماعي والتآزر والانطلاق إلى المستقبل بخطط وبرامج واستراتيجيات علمية وموضوعية واضحة وقابلة للتنفيذ وأهم من هذا أيضا توفير الأمن والأمان والاستقرار النفسي والمعيشي للناس وانتهاج لغة الحوار كأسلوب حضاري.



علي الذرحاني

أهواؤه وميوله ونوازهه وأطماعه وأغراضه ورواسب طفولته كذلك ينبغي علينا الإقلاع عن عاداتنا السيئة والظواهر السلبية كالفساد والرشو والمحسوبية والأناية والأثرة وكراهية التغيير وعدم احترام الرأي والرأي الآخر والابتعاد عن الرأي الأحادي المتسلط وأن نؤمن بروح التعاون والتكاتف والإحساس بالمسؤولية والحفاظ على المال العام وتقديم مصالح الوطن قبل مصالحنا الضيقة.. وكلمنا

قربنا من الله عز وجل وتوثقت علاقتنا به والخشية من الله وصلحت كل أعمالنا ويسر لنا أعمالنا وإنجازنا لأن انعدام القيم يحل محلها الانحلال الخلقي والفساد والسرقة والإنهال وعدم الأكثرات والاستهتار بحقوق الناس والحق العام وعدم احترام حقوق الإنسان وعدم

الخشبية المحنطة والجامدة وأن نقوم بتفكيك المفاهيم والمقولات العقلية النسبية والأفكار الخرافية والأسطورية وإعادة الاعتبار لمفاهيم المعرفة العلمية الرصينة والبحث والمفاهيم الموضوعية واتهام أنفنا بالتقصير وأنا لا نملك الحقيقة كاملة في جيوبنا وأن نؤمن بأن كل من يعتقد بأنه على صواب تؤثر على صوابيته أهواؤه وميوله ونوازهه وأطماعه وأغراضه ورواسب طفولته كذلك ينبغي علينا الإقلاع عن عاداتنا السيئة والظواهر السلبية كالفساد والرشو والمحسوبية والأناية والأثرة وكراهية التغيير وعدم احترام الرأي والرأي الآخر والابتعاد عن الرأي الأحادي المتسلط وأن نؤمن بروح التعاون والتكاتف والإحساس بالمسؤولية والحفاظ على المال العام وتقديم مصالح الوطن قبل مصالحنا الضيقة.. وكلمنا

قربنا من الله عز وجل وتوثقت علاقتنا به والخشية من الله وصلحت كل أعمالنا ويسر لنا أعمالنا وإنجازنا لأن انعدام القيم يحل محلها الانحلال الخلقي والفساد والسرقة والإنهال وعدم الأكثرات والاستهتار بحقوق الناس والحق العام وعدم احترام حقوق الإنسان وعدم

وبلادنا تمر بمرحلة حرجة وصعبة - إلا أنها في هذه اللحظة يصد التأسيس لبناء دولة مدنية حديثة ورسم خارطة طريق لهذه الدولة اليمنية المنشودة- ينبغي علينا جميعا شعبا وحكومة أحزابا ومكونات قبائل وفئات وجماعات ومنظمات مجتمعي مدني نساء وشبابا معرفة حقوقنا وواجباتنا التي احتوت عليها مخرجات الحوار الوطني الشامل وبالتأكيد لابد أن تلك المخرجات قد تضمنت شروط وينود بناء أسس دولة مدنية حديثة واحتوت على أهم المبادئ والأسس العامة والخطوط العريضة التي تحتاج إلى بلورتها في عقد اجتماعي جديد وعصري أو دستور جديد وحديث مواكب للألفية الثالثة وتميز عن الدساتير السابقة يأخذ الصفة الرسمية بعد الاستفتاء عليه ثم تأتي مرحلة البدء بتطبيقه وتنفيذه على أرض الواقع.

ولكن قبل كل هذا كله ينبغي أن تتمثل الخطوط والمبادئ والأسس والقيم التالية المستلهمة من روح تلك المخرجات. وأن نحسن ونوطن أنفسنا بهذه القيم والمبادئ قبل تنفيذ أي عمل نطمح إلى إنجازه أو تحقيقه وأول هذه المبادئ والقيم والسلوكيات والأخلاق : الصدق مع الله ثم مع الناس ومع النفس وأن نعمل بتجرد ونزاهة وشفافية وبمهنية - وأن نحاسب أنفسنا ونقر ونعترف بالخطأ وقيل هذا نعيد النظر في قناعاتنا ومسلماتنا القديمة والأفكار

## عدن تدعوكم لإنقاذ معالمها التاريخية

### مبنى اتحاد النقابات مثلا



أحمد ناصر حميدان

ولى وانتزعت المدنية من ثقافة وسلوك هذا المجتمع وغرسوا فيه ثقافة الفيد والسلب والنهب والجشع والتخريب والدمار ومعامله واضحة للعيان . ماذا نقول عما يحدث اليوم في عدن تم السطو على ممتلكات حيوية وخدمية وملكية عامة كالاتحاد العام لعمال الجمهورية بالمعلا والمدرسة النقابية القلوعة وأمام أعين السلطة المحلية المحافظة والمديريات والمستولين عن هذه المرافق بل تم الهدم والتدمير لهذه

المرافق والبناء على أراضيها دون حسيب ولا رقيب مع العلم ان هذه المرافق تعتبر معالم تاريخية تحكي حكايات النضال الثوري للحركة الوطنية وتأسيسها حيث يعتبر مبنى النقابات بعدن هو مركز ومحور انطلاق الحركة الوطنية اليمنية وبني بعرق وتبرعات العمال وملكيته تؤول للعمال اليمني وحرركته النقابية لم يستطع لوبي الفساد في زمن هيمنته على السلطة التصرف فيه او نفيه اليوم أبناء عدن ولا اعتمدت

انهم من أبناء عدن من الشباب متهور خارج عن القانون اقتحموا المدرسة النقابية والمبنى والمسرح التاريخي التابع له الذي رددت منه صرخات العمال الثورية وأناشيد الثورة الوطنية الذي يعد معلما تاريخيا عريقا يستولي عليه جماعة خارجين عن القانون والسلطة والأجهزة الأمنية لم تحرك ساكنا عندما يزورون الموقع هذه الأيام مناضلون كانت لهم بصمات فيه ينرفون الدموع على ان تاريخهم النضالي ينهار بهذه

المرافق والبناء على أراضيها دون حسيب ولا رقيب مع العلم ان هذه المرافق تعتبر معالم تاريخية تحكي حكايات النضال الثوري للحركة الوطنية وتأسيسها حيث يعتبر مبنى النقابات بعدن هو مركز ومحور انطلاق الحركة الوطنية اليمنية وبني بعرق وتبرعات العمال وملكيته تؤول للعمال اليمني وحرركته النقابية لم يستطع لوبي الفساد في زمن هيمنته على السلطة التصرف فيه او نفيه اليوم أبناء عدن ولا اعتمدت

انهم من أبناء عدن من الشباب متهور خارج عن القانون اقتحموا المدرسة النقابية والمبنى والمسرح التاريخي التابع له الذي رددت منه صرخات العمال الثورية وأناشيد الثورة الوطنية الذي يعد معلما تاريخيا عريقا يستولي عليه جماعة خارجين عن القانون والسلطة والأجهزة الأمنية لم تحرك ساكنا عندما يزورون الموقع هذه الأيام مناضلون كانت لهم بصمات فيه ينرفون الدموع على ان تاريخهم النضالي ينهار بهذه

المرافق والبناء على أراضيها دون حسيب ولا رقيب مع العلم ان هذه المرافق تعتبر معالم تاريخية تحكي حكايات النضال الثوري للحركة الوطنية وتأسيسها حيث يعتبر مبنى النقابات بعدن هو مركز ومحور انطلاق الحركة الوطنية اليمنية وبني بعرق وتبرعات العمال وملكيته تؤول للعمال اليمني وحرركته النقابية لم يستطع لوبي الفساد في زمن هيمنته على السلطة التصرف فيه او نفيه اليوم أبناء عدن ولا اعتمدت

عدن مدينة الحضارة والرقي ،عدن للمدنيين ولا يمكن أن تكون غير ذلك هي بوابة الخير لليمن والجزيرة منها عرفت المنطقة التجارة وحركة البواخر ومنها انتقلت الحضارات إلى المنطقة ومنها هاجر اليمنيون لنشر الإسلام والحضارة اليمنية فهي المدينة المؤثرة بالإيجاب الرافضة للسلب، كل من احضنتهم تأثروا بها وتجرعوا منها المدنية والرقي واكتسبوا ثقافة الحب والتسامح وعززت فيهم المشاعر والأحاسيس المرهفة والأذواق الراقية بالفن الجميل والملبس الحسن وحياة كلها إبداع وثقافة غنية بالوطنية والكرامة والعزة وعلى رأسها المدنية .

لم تعرف عدن- في كل مراحلها- الهمجية والبلطجة من سلب ونهب للممتلكات العامة والخاصة كمثل في تاريخنا الحديث مرت منعطفات غابت بها الدولة نتيجة صراعات دموية لكنه لم يغيب القانون لان القانون كان حينها سلوكا متصلا في النفس والروح والشاعر لأبناء هذه المدينة رغم غياب الدولة لكن حافظ الناس على سريان القانون فيما بينهم لم نسمع عن حادثة سلب ونهب واحدة حدثت لا للمال العام أو الخاص أو دمر مصنع أو منشأة أو خدمة عامة أو خاصة

من عاش في عدن يعلم أن قطع إشارة المرور الحمراء كان جريمة عظيمة حتى في منتصف الليل والطرق خالية لان الضمير كان هو رقابة تنفيذ القانون لم نسمع عن قتل وسلب وظلم وتحايل إلا فيما ندر كانت الناس تتعاشي بحب وصدق وإخلاص وطيبة لكن هذا الزمن

## ملاحظات لا بد منها

الشركات والمؤسسات ومطار عدن الدولي ولكنها مع كل ذلك لا تحصل على الاهتمام والراعية بشؤونها المختلفة على الوجه المطلوب حتى تظهر في بيئة نظيفة وبشكل حضاري لائق يريح سكانها ويريح الزائرين لتسواطها الجميلة.



غوش علي بن حداد

وفي الملاحظة الثالثة والأخيرة نشير إلى بعض العوائق والتشوهات التي تعاني منها طرقات عدن وشوارعها بشكل عام مما يعيق حركة سير المركبات ويشكل خطراً على حياة الناس دون أن تجد من الجهات المختصة من يقوم بإزالة تلك العوائق واصلاح الطرق التي تعاني منها وعلى سبيل المثال في مديرية خورمكسر وامام محطة النصر للمواد البترولية هناك انخفاض في الطريق وخالصة السرعة ويرجعها رجا مؤذيا للركاب والمصابرات نفسها وواجبا أن الاتصال هو كبيرة مع العلم انه لا يوجد حتى مجرد اشارة تحذير من خطورة هذا المنخفض تحذر السائقين وترشدهم إلى الحذر وتخفيف السرعة وخاصة الذين يجهلون هذا المنخفض وعندما تسأل عن سبب وجود هذا الخلل في الطريق يأتي الرد بأن أحد القواين الذي قام قبل فترة طويلة باحداث حفريات في المكان لدفن بعض انابيب الخدمات كالجاري والاتصال هو الذي ترك هذا العيب في الطريق دون ان تلزمه الجهات المختصة بأن يعيد تسوية الطريق كما كان قبل الصلاح والمهم الآن أن هذا الخلل بحاجة إلى اصلاح عاجل حتى لا يتسبب في المزيد من الاضرار بحياة الناس والسيارات حيث ان هذا الطريق يعد من الطرق الرئيسية وتمر عبره السيارات بكثافة عالية على مدار الساعة فهو ثاني طريق يربط مديريات عدن المختلفة مع الطريق البحري إضافة إلى انه يربط عدن

من أهم معالم هذه المشكلة ان يتم وقف صدور اية تصاريح جديدة لسيارات الاجرة والاكتفاء بما هو موجود ويزيد عن الحاجة، بالإضافة إلى فرض النظام والقانون لئن يخالف قواعد السير، وكذلك منع المتطفلين من غير سيارات الاجرة الذين يراحمون هذه السيارات على نقل الركاب وبعضهم من محافظات أخرى.

أما الملاحظة الثانية فهي حول مديرية خورمكسر التي لم تحصل. كما يبدو. على حصتها من مستودعات القمامة والسيارات الكافية لنقلها من احياء المديرية حيث ان بعض الاحياء مثل حي السعادة ترمى فيه القمامة والمخلفات المتنوعة في أماكن مفتوحة حتى تصعب اكواما كبيرة تنبعث منها الروائح الكريهة وتكون مصدرا لتكاثر الذباب والبعوض والحشرات التي تنسب في الأمراض المختلفة لسكان الحي خاصة المجاورين لها مع العلم ان هذه المخلفات تتجمع لفترة طويلة حتى تأتي سيارة البلدية لنقلها بعد تضرر الناس منها ولا ندري لماذا لا تهتم السلطة المحلية بالمديرية بصحة الناس ولماذا لا تطالب بحصة المديرية من مستوعبات القمامة البلاستيكية الحديثة مع وجود العدد الكافي من سيارات نقل القمامة التي تقوم بنقل تلك المستوعبات بصورة يومية على غرار ما يجري في المديريات الأخرى.

لقد كان الأولى بالسلطة المحلية في مديرية خورمكسر ان تحصل على جائزة النظافة الشهرية من المحافظة لأن الطبيعة الجغرافية والسكانية لا تحتاج إلا إلى جهد اقل مما يبذل في المديريات الأخرى لمحافظة عدن لاظهارها بصورة نظيفة وصحية تتناسب مع موقعها وأهميتها حيث يوجد فيها الكثير من الإدارات الحكومية المهمة بالإضافة إلى مكاتب المنظمات والقطاعات الدبلوماسية المختلفة، وكذلك

كم هي كثيرة تلك الملاحظات والانطباعات التي تتكون لدى الإنسان من خلال معايشته للواقع في مجتمعه الذي يعيش فيه ويحب ان يراه خاليا من الأخطاء والسلبيات حتى يظهر بصورة جميلة ومتحضرة وتعكس ما كان عليه من الرقي والمدنية والنظام عندما يتعلق الأمر بعدن والمجتمع الذي عاش فيها ومازال يحن إلى تلك الأيام الجميلة ويتطلع إلى ان تتخلص عدن من كل ما لحق بها من تشوهات واساءات حتى تعود إلى سيرتها الأولى ومكانتها اللائقة.

العدد الكبير من سيارات الاجرة الذي اصبح يجوب شوارع عدن بمدنها ومديرياتها المختلفة وتضيق به ذرعا تلك الساحات والشوارع سواء منها المخصص لفرزات سيارات الاجرة أو المخصص للسيير وعبور المشاة حتى اصبح عدد تلك السيارات أكثر من عدد الركاب الأمر الذي تسبب في الكثير من مخالفة قواعد السير ومضايقة الناس وحوادث الكثير من الاختناقات المرورية التي تعطل الحركة نظراً لوجود الكثير من الحافلات التي تقف في وسط الطريق وترتفع في الجولات والتقاطعات وتعكس السير في الشوارع المهمة وينادي اصحابها على الركاب الذين ربما يأتي بعضهم من على بعد فيكثر الصيحات يناديهم على من هو الأولى بحمله وتستمر بينهم هذه الصورة السلبية بينما اصحاب السيارات الأخرى ينتظرون خلو المكان من هذه الزحمة التي يخلقها اصحاب حافلات الاجرة ويتعدون على حق غيرهم في عبور الطريق دون ان يكون للمرور. وللأسف. أي دور في فرض النظام وفتح الطريق الا في حالات قليلة.

واذ كانت سيارات الاجرة بمختلف انواعها اصابتها في الكثرة بحيث أصبحت سبباً رئيسياً في الاختناقات المرورية وتأخير حركة الناس فإن اصحاب هذه السيارات اصبح الكثير منهم بالكاد يحصل على المردود المادي الذي يوفر له ولاسرتة لقمة العيش المناسبة وفي هذه الحالة تصبح المشكلة مضاعفة وتحتاج إلى معالجة سليمة من الإدارة العامة للمرور، ولعل

## الأزرق لون اليوم العالمي للتوحد

إن كانت هناك عوامل وراثية تؤدي للإصابة. لذلك يعتبر تناول حمض الفوليك أسيد أثناء فترة الحمل من الأشياء الضرورية لكل أمت تنتظر مولودا جديدا . تقول الإحصائيات ان هناك عشرات الملايين من المصابين بالمرض حول العالم، وإن اثنين من كل 136 شخصا مصابان بالتوحد. وإن الأولاد ب «اربع مرات، أكثر عرضة للإصابة بالتوحد من البنات إلا ان التدخل المبكر لتطوير مهارات الطفل المصاب قد يساهم بشكل كبير في رفع كفاءته ويزيد من قدرته على الاندماج في المجتمع وتحقيق إمكاناته، فكثر من المصابين بالتوحد متميزون في مجالات الفنون والرسم والموسيقى والرياضيات التوعوية مهمة حيث في حالات كثيرة يختلط الأمر على أولياء أمور الأطفال فلا يدركون أن هناك مشكلة عند الصغير أو أنهم ينكرون الفكرة من أساسها ولا يصدقون حقيقة إصابة صغيرهم.



ريمان نمر

لن يشخص المرض، ولم يتم الحديث عنه قبل عام 1944 إلا أنه بالطبع كان موجوداً عبر التاريخ منذ العام 2008 حددت الأمم المتحدة يوم الثاني من ابريل يوما عالميا للتوعية بالمرض، لذلك في عام 2010 كانت هناك دعوة عالمية بأن نضاء أشهر الأماكن في العالم باللون الأزرق في هذا اليوم من كل عام وبالفعل أضيء برج العرب وأوبرا سيدني وشلالات نياغارا وبرج كانتون والبرلمان الهنغاري وقلعة صلاح الدين وغيرها من الأماكن المهمة باللون الأزرق. وقد قامت بعض المدارس والهيئات التعليمية هذا العام في مصر برفع الاعلام الزرقاء وطالبت طلابها بارتداء اللون الأزرق في هذا التاريخ أملا في دعم المصابين بهذا المرض وأسرهم ، إضافة إلى تسليط الضوء على هذا المرض الذي لم يأخذ حقه من الاهتمام رغم خطورته المتزايدة، حيث تزداد نسبة المصابين بالمرض بمقدار 10-17 بالمئة كل عام.

فالأطفال المصابون بالتوحد لهم الحق في الاستمتاع بطولتهم والعيش بكرامة والاندماج في مجتمعاتهم الأزرق هو اللون الذي يمثلهم، يمثل الأشخاص المصابين بالتوحد، الأزرق لون الصدق والموثوق والذكاء . فمصاحب التوحد فيهم كل هذه الصفات لكن أن الأعمق لأن نتعامل معهم باعتبارهم أسوياء يحتاجون إلى طريقة خاصة في التواصل لتحقيق إمكاناتهم الحقيقية. هي دعوة للتركيز على نقاط القوة والتفرد عندهم وليس نقاط الضعف. بالتعلم - تعلمهم وتعلمنا- يصبح المصابون بالتوحد أقل توحدا. حين سُئل طفل عن أصعب شيء يعاينه بسبب إصابته بالتوحد قال: أن يطالبني الجميع بأن أتصرف كما يتصرفون وأن أسلك نفس سلوكهم.

منذ أسبوعين تقريبا تقيت دعوة عبر «فيس بوك» من إحدى تلميذاتي العزيزات القديمات لأشارك في الحملة العالمية Autism للتوعية بالتوحد

لم أكن أعرف الكثير عن هذه الإصابة، فبدأت أقرأ حول الموضوع، بالإضافة إلى قراءة كل ما تشتهر تلميذتي عبر صفحتها كل يوم فأزداد عيا وازداد ثقة بأن من حق المصابين بهذا المرض وأسرهم أن نتكاتف جميعا لأجلهم ولأجل التوعية بما يعيشونه، ومن طلابنا نتعلم. فشهد ابريل رغم أنه شهر «الكتابة الشهيرة» فإنه أيضا شهر التوعية بمصابي التوحد الذين لا يعرفون الكتب أبدا، والذين لا يطلقون الأحكام على الآخرين ولا يلعبون الألاعيب، على الأقل هذا ما تقوله الحقائق الصادرة عن الهيئات المعنية بهذه الإصابة. فهم لا يرون إلا الجانب الحلو في الآخرين ولا يلجؤون أبدا للكذب لتخليص أنفسهم من ورطة وقعوا فيها.

واحد لا يحدد عنه، ومشيئة واحدة لا يغيرها، يكرر السلوك نفسه، يحرك رأسه أو جسده وفق نمط واحد، يميل الكيس بالحصى مثلا ويفرغه مرة، مرتين، عشر، بل مئات المرات وساعات طوال دون أن يمل، يرفرف بيديه أمام وجهه، يحدث نفسه بعبارات متكررة، لا ينظر في عينينا مباشرة، لا يتواءم معنا، وغير معني بنا، مهتم فقط بنفسه، ويعرف كيف يسليها، هذا هو أشهر نموذج للمصابين بالتوحد وإن كان هناك طيف من السلوكيات والتصرفات التي يقوم بها المصابون بالتوحد ويبرجات مختلفة ومتفاوتة، كما أن التوحد أنواع وليس نوعا واحدا، وفي اليونانية autos «أوتوس» هي الذات، الانشغال بالذات والعيش معها هو ما يلخص هذه الإصابة. والتوحد مرض غامض، هو اضطراب في الجوانب التفاعلية والتواصلية اللغوية، وغير اللغوية والسلوكية يظهر في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل فيؤثر في قدرته على التواصل الاجتماعي واستخدام اللغة، إلا أن المصابين به حساسون للأصوات، يزعجهم تغيير الروتين، ويقلقهم التغيير بشكل عام فيفكرون تغيير أماكن قطع الأثاث، أو تغيير قائمة الطعام كل يوم، يشاهدون برنامجا واحدا لاغير، ويلعبون لعبة واحدة فقط بلا كلل، ويجدون صعوبة في الاقتراب من الآخرين جسدياً.

أسباب الإصابة غير معروفة بشكل قاطع لكن هناك من يربها لأسباب سيكولوجية أو بيئية أوعضوية، مثل تقدم سن أحد الوالدين أو كليهما في العمر، إصابة الأم بمرض ما أثناء الحمل، وضعويات أثناء الولادة وخاصة ما يرتبط بها مما يؤدي إلى قلة وصول الأوكسجين إلى مخ الطفل بالإضافة إلى تلوث البيئة والقاحات والأمصال وخلل المناعة في بعض الحالات، وغير